Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالاعتراف الخارج عما ألفه الناس من مثل اعترافات كل من روسو وأندريه جيد وغيرهما.

إنه الرقيب الداخلي، إنها سطوة الرقيب الاجتماعي، والمحرمات الطريفة والتليدة. وإذا كان بعضهم قد ناوش هذين الرقيبين وتلك المحرمات، من أبي حكيمة في ديوانه-فالسيرة الذاتية بحسب فابيرو عمل أدبي قد يكون رواية أو قصيدة أو مقالة فلسفية..-إلى بو علي ياسين في (عين الزهور)، فجبرا إبراهيم جبرا يتقفى ميخائيل نعيمة في سيرته (سبعون) حيث يرفض الكتابة عن حياته الخاصة"، وماذا كان بيني وبين نساء أحببتهن". كما فعل -أقل أو أكثر- عباس محمودالعقاد في (أنا) أو أحمد أمين في (حياتي) أو توفيق يوسف عواد في (حصاد العمر) وسواهم.

وهكذا، فالسيرة الذاتية العربية بعامة هي قناع لصاحبها، يضاعف مايقوم به الحكي أصلاً من الانتقاء والحذف والتقديم والتأخير، أو الاستنساب كما تحدد يمنى العيد. وبالمقابل، تأتي الرواية فتناوش المحرمات والرقابة عندما تقوم على السيرة الذاتية، فتهتك قليلاً أو كثيراً قناع الذات في السيرة وقناع الحكي بعامة، بفضل القناع الجديد: القناع الروائي، كما نرى في روايات غالب هلسا(الخماسين) وعبد الحكيم قاسم (محاولة للخروج) ومحمد شكري (الخبز الحافي - الشطار) وليلى بعلبكي (أنا أحيا) وغادة السمان (الفسيفساء الدمشقية) وجبرا إبراهيم جبرا نفسه (البحث عن وليدمسعود- صيادون في شارع ضيق- صراخ في ليل طويل- يوميات سراب عفان- الغرف الأخرى- السفينة).

وإذا كان روائيون آخرون قد خصّوا طفولتهم برواية سيرية أو سيرة روائية-كما فعل طه حسين في (الأيام)، أو محمد ديب أو حنا مينة -كل في ثلاثيته- فقد اختار جبرا لطفولته في (البئر الأولى) ماهو أقرب إلى هذا السبيل، تعويلاً على مارأينا منه بصدد الذاكرة والخيال والحلم، وماسبق توظيفه في كتابات أخرى، وعلى صراع التجربة والكتابة، معلناً الحذف والانتقاء، لكأنّ جبرا بذلك يتوسل القناع الروائي للسيرة وهو يناوش سطوة الرقابة والمحرمات.

طفولة جبرا:

يتلامع الخان كذكرى أولى لبيت الطفولة تنطوي على مفردات الفضاء الضائع: العليّة حيث الكنيسة والشارع وساحة باب الدير... وسرعان ما تهمي ذكريات الخشاشي (جمع خشية) والبيوت التي تنقل فيها الطفل مع أسرته (حوش